معاني القراءات المتواترة في سورة الأنفال

د. مشاعل أنور اللهو

أستاذ مساعد– كلية التربية الأساسية– قسم الدراسات الإسلامية

الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب– الكويت

من ٦٥٥ إلى ٧١٠

معاني القراءات المتواترة في سورة الأنفال

مشاعل أنور اللهو
كلية التربية الأساسية، قسم الدراسات الإسلامية ،الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب، الكويت.
البريد الإلكتروني: mashaelallahu@hotmail.com

الملخص:
حظيت القراءات القرآنية باهتمام العلماء والباحثين قديماً وحديثاً، فالقراءات القرآنية المتواترة تمثل أبعاد القرآن الكريم، ودراستها وفهمها يقربنا من فهم القرآن الكريم، وفي هذا البحث دراسة لأثر اختلاف القراءات المتواترة في سورة الأنفال على المعاني والتفسير وعلاقة ذلك بالإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، وذلك من خلال استقراء وتحليل القراءات القرآنية المتواترة في سورة الأنفال، وما كتبه العلماء والمفسرون حولها، لمعرفة أنواع الاختلاف في القراءات القرآنية وأثر ذلك على معاني الآيات في السورة، وصلة ذلك ببلاغة القرآن الكريم وإعجازه.

الكلمات الإفتتاحية: القراءات ، المتواترة ، سورة ، الأنفال ، إستقراء ، تحليل

The meanings of frequent readings in Surat Al-Anfal

Mashaeil Anwar allahw

College of Basic Education , Department of Islamic Studies,

Public Authority , Applied Education and Training , Kuwait..

Email:mashaelallahu@hotmail.com

ABSTRACT:

Quranic readings received the attention of scholars and researchers, past and present. Recurrent Qur'anic readings represent some of the Holy Qur'an, and studying and understanding them brings us closer to understanding the Holy Qur'an. And an analysis of the recurring Quranic readings in Surat Al-Anfal, and what scholars and commentators have written about it, to know the types of difference in Quranic readings and the impact of that on the meanings of the verses in the surah, and its link to the rhetoric and miracle of the Holy Qur'an.

Keywords: readings, frequent , Surah , Al-Anfal , induction , analysis.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد...

أنزل الله تعالى القرآن الكريم على سبعة أحرف تيسيرا على الأمة فكان فيها الإعجاز والبلاغة والبيان، ونتج عن اختلاف هذه الأحرف القراءات القرآنية،[1] التي نالت حظاً كبيراً من اهتمام العلماء والباحثين قديماً وحديثاً، وما زال هذا المجال بحاجة إلى مزيد من البحث والدراسة، وفي هذا البحث محاولة للكشف عن أثر اختلاف القراءات القرآنية المتواترة على المعاني والتفسير وعلاقة ذلك بالإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، وتم اختيار سورة الأنفال نموذجا لذلك.

مشكلة الدراسة:

يحاول هذا البحث الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- **ما أنواع اختلاف القراءات المتواترة في سورة الأنفال؟**
- **ما أثر اختلاف هذه القراءات على المعاني والتفسير؟**
- **ما صلة اختلاف هذه القراءات بالإعجاز البلاغي للقرآن الكريم؟**

أهمية الدراسة:

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من النقاط التالية:

- **أنها تتعلق بالقرآن الكريم في محاولة لتقريب معانيه والكشف عنها.**
- **أنها تسلط الضوء على الجانب البلاغي للقراءات المتواترة الذي لم يأخذ حقه من الدراسة والبحث خصوصا من الناحية التطبيقية.**

الدراسات السابقة: **حظيت القراءات القرآنية باهتمام كبير من العلماء منذ بداية مرحلة التدوين، لكن اهتمام المؤلفين في الغالب تركز على حصر القراءات**

---

[1] **سيأتي تفصيل ذلك في المبحث الأول.**

والاحتجاج لها من الجانب الصرفي والنحوي، ومعانيها بشكل عام، مع إشارات لبلاغة القراءات، وهذا ما يجده القارئ جلياً في كتب توجيه القراءات وفي التفاسير التي اهتم أصحابها بالقراءات القرآنية، أما الجانب البلاغي للقراءات فلم يبرز الاهتمام به إلا في العصر الحديث حيث التفت إلى هذا الجانب عدد من الباحثين، ومن أهم المؤلفات في ذلك:

- التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، د. أحمد سعد محمد.
- التوجيه البلاغي في القراءات القرآنية، د. عبد الله حسن عليوه.
- مدخل القراءات القرآنية في الإعجاز البلاغي، د. محمد إبراهيم شادي.
- القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية، د. فضل عباس.
- الوجوه البلاغية في توجيه القراءات القرآنية، د. محمد الجمل.
- الإعجاز في تنوع وجوه القراءات، د. عبد الكريم إبراهيم عوض، وقد عقد مبحثا عن الإعجاز البياني.
- التوجيه البلاغي للقراءات في الكشاف، عمارية شيخاوي.
- الوجهة البلاغية للقراءات القرآنية في كتاب الحجة لأبي علي الفارسي، محمد توفيق الغفاري.
- تغاير الأسلوب في القراءات القرآنية وأثره في اختلاف المعنى، د. خير الدين سبب.
- الإضمار البلاغي في القراءات القرآنية، محمد الأمين محمد المختار.

وقد عقدت العزم على كتابة سلسلة في دراسة معاني القراءات المتواترة في السور القرآنية كأبحاث مستقلة، أجمع به شتات ما ذكره العلماء قديما وحديثا، أبرز من خلالها أثر اختلاف القراءات وأبين أنواعه من الناحية التطبيقية، مع ربط ذلك بالإعجاز القرآني، وبدأت بسورة الأنفال، ثم علمت بصدور كتاب (تفسير القرآن بالقراءات العشر المتواترة) ضمن منشورات الجامعة الإسلامية

في غزة، وهي عبارة عن سلسلة رسائل علمية تقدم بها مجموعة من الباحثين والباحثات لنيل درجة الماجستير في تخصص التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية، وهو جهد رائع يشكرون عليه، لأهمية الموضوع والحاجة إلى الكتابة فيه.

فرجعت إلى تفسير القراءات في سورة الأنفال، وهو جزء من رسالة الباحثة أحلام مصباح أبو شعبان، حيث تناولت الباحثة ثلاث سور (الأنفال والتوبة ويونس)، فكانت لي الملاحظات الآتية:

- تناولت الباحثة توجيه القراءات أصولاً وفرشاً، فكان في كثير من توجيهاتها تكلف، لأن اختلاف معظم أصول القراءات إنما يرجع إلى اختلاف اللهجات، ومحاولة إيجاد توجيه لكل موضع منها لن يحصل إلا بتكلف شديد.
- أسقطت الباحثة توجيه قراءة (النبي) و(النبيء) في الآيات ٦٤، ٦٥، ٦٧ من سورة الأنفال.
- يبدو أن الباحثة كانت تكتب بحثها وفق قناعة (إن الأصل في القراءات اختلاف معانيها) لذلك كانت تميل إلى كل قول يفرق بين القراءات من حيث المعنى دون تحقيق، وقد تأتي بتوجيه من اجتهادها الشخصي لتحقيق هذه الغاية، وهذا ما جعلها تأتي بمعان لا دليل عليها.
- خالفت الباحثة في توجيه القراءات في مواضع عدة سيأتي بيانها في البحث.

لذلك عزمت على تقديم هذا البحث رغبة مني في استدراك ما ذكر من ملاحظات، ولإثراء الموضوع بتوجيهات ونتائج مختلفة، كما أن هذا البحث يسعى من خلال الدراسة التطبيقية لإبراز صلة اختلاف القراءات بمعاني الآيات والإعجاز البلاغي القرآني.

منهجية الدراسة:

ستعتمد هذه الدراسة على المناهج البحثية التالية:

- **المنهج الاستقرائي: من خلال استقراء القراءات القرآنية المتواترة في سورة الأنفال، وما كتبه العلماء والمفسرون حولها.**
- **المنهج التحليلي: من خلال تحليل النصوص القرآنية، وأقوال العلماء والمفسرين.**
- **المنهج الاستنباطي: من خلال استنباط معاني القراءات القرآنية، وعلاقتها ببعضها وصلة ذلك ببلاغة القرآن الكريم وإعجازه وذلك بعد الاستقراء والدراسة التحليلية.**

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى:

مقدمة: وهي التي بين أيديكم، واشتملت على مشكلة الدراسة وأهميتها، والدراسات السابقة، ومنهجية البحث وخطته.

المبحث الأول: حقيقة اختلاف القراءات القرآنية، وفوائده.

المبحث الثاني: توجيه القراءات المتواترة في سورة الأنفال.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

المبحث الأول

اختلاف القراءات القرآنية

أصل نشأته وحقيقته وفوائده

تعددت آراء العلماء في أصل نشأة القراءات القرآنية، فمنهم من يرى أن مجموع القراءات المتواترة تمثل حرفا واحدا من الأحرف السبعة التي أنزلها الله تعالى، فجميع أوجه القراءات المتواترة إنما ترجع إلى حرف واحد وهو حرف قريش الذي اعتمده عثمان رضي الله عنه في جمعه للقرآن الكريم توحيدا للأمة وحصرا لمادة الخلاف بينهم،[١] في حين يرى علماء آخرون أن القراءات المتواترة تمثل جميع الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن الكريم والتي اشتملت عليها المصاحف العثمانية، لأن الأمة لا يجوز لها أن تهمل نقل شيء من الأحرف السبعة،[٢] ويرى فريق آخر أن المصاحف العثمانية مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة فقط جامعة للعرضة الأخيرة التي عرضها النبي S على جبريل عليه السلام لم تترك منها حرفا،[٣] وعلى هذا

---

[١] ينظر الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان، ج١، ص٩٨، ١٠١-١٠٢، مجلد واحد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٤.

[٢] نسبه السيوطي إلى جماعات من الفقهاء والقراء والمتكلمين، ينظر السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال، الإتقان في علوم القرآن، ج١، ص ١٦٥، مجلد واحد، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦م. وابن الجزري، محمد بن محمد الدمشقي، النشر في القراءات العشر، ج١، ص٣١-٣٣، ط٢، مجلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.

[٣] وهو القول الذي رجحه ابن الجزري، ونسبه إلى جماهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين، ينظر ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج١، ص٣١-٣٣. وينظر القضاة، أحمد مفلح، وشكري، أحمد خالد، ومنصور، محمد خالد، مقدمات في علم القراءات، ص ٣٣- ٤٤، ط١، مجلد واحد، دار عمار، عمان، ٢٠٠١.

القول فالقراءات القرآنية المتواترة تمثل مجموع الأحرف السبعة الثابتة في العرضة الأخيرة فقط.

وأرى أن القولين الأخيرين متقاربان وهما الأقرب إلى الصواب،[١] فبهما يتبين منشأ اختلاف القراءات القرآنية، كما أن المتتبع لهذه القراءات يجد في اختلافها التيسير بتنوع اللهجات، والبلاغة والإعجاز بإثراء المعاني وتكاملها دون تناقض، وهذه هي الحكمة التي من أجلها أنزل القرآن الكريم على سبعة أحرف.

أما حقيقة الاختلاف بين القراءات فهو اختلاف تنوع وتغاير لا اختلاف تضاد وتناقض، وقد قسمه ابن الجزري إلى ثلاثة أحوال:

١- اختلاف ألفاظ لا يؤثر على المعنى، ومثل له بالألفاظ الآتية: (الصراط، وعليهم، ويؤده، والقدس، ويحسب) وقال: "ونحو ذلك مما يطلق عليه أنه لغات".[٢]

٢- اختلاف اللفظ والمعنى مع جواز اجتماعهما في شيء واحد، ومما مثل له به قراءة (ملك) و(مالك) في الفاتحة لأن المراد في القراءتين هو الله تعالى، فأثبتت القراءتان وصفين لله تعالى (المُلك) و(المِلك).

٣- اختلاف اللفظ والمعنى مع امتناع جواز اجتماعهما في شيء واحد، بل يتفقان من وجه آخر لا يقتضي التضاد، ومما مثل له به قراءة (وإن كان

---

[١] بين القولين تقارب كبير من حيث صلة الأحرف بالقراءات، وينحصر الخلاف بينهما في قضية ما نسخ في العرضة الأخيرة، حيث يرى أصحاب القول الثالث أنه قد نسخ شيء من الأحرف السبعة في العرضة الأخيرة، وهي قضية لا يمكن الجزم بها كما ذكر د. فضل عباس، ينظر عباس، فضل حسن، القراءات وما يتعلق بها، ص٨٦، ط١، مجلد واحد، دار النفائس، عمان، ٢٠٠٨م.

[٢] ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج١، ص٤٥.

مكرهم لَتزولُ منه الجبال) إبراهيم: ٤٦، وقراءة (وإن كان مكرهم لِتزولَ منه الجبال) إبراهيم:٤٦، فمعنى القراءة الأولى: إن مكرهم كان من الشدة بحيث يقتلع منه الجبال الراسيات من مواضعها، ومعنى القراءة الثانية: ما كان مكرهم وإن تعاظم ليزول منه دين الإسلام، فالقراءتان وإن اختلفتا معنى فإنهما غير متناقضتين.[١]

ولأن هذا البحث يسعى إلى إبراز أثر اختلاف القراءات على المعاني وعلاقة ذلك بالإعجاز البلاغي للقرآن الكريم كما بينت في المقدمة، فإنه سيتناول القراءات الفرشية حيث أن أغلب الاختلافات بينها مما يؤثر على المعاني، ولن يتطرق البحث إلى اختلاف أصول القراءات، مثل الاختلاف في المدود والإدغام والصلة والإمالة والتسهيل وغيرها، إلا ما كان له تأثير على المعنى، لأن أغلب الاختلاف في ذلك إنما يرجع إلى اختلاف اللهجات وهو النوع الأول الذي ذكره ابن الجزري.

ولاختلاف القراءات فوائد وحكم من أهمها:

١- التهوين والتسهيل والتخفيف على الأمة.

٢- البلاغة والإعجاز والإيجاز، فكل قراءة بمنزلة الآية، فتنوع اللفظ بكلمة يقوم مقام آيات، ولو جعلت دلالة كل لفظ آية منفصلة لكان في ذلك تطويل.

٣- الدلالة على تصديق القرآن بعضه بعضا وعدم وقوع التناقض فيه، فالقراءات على تنوعها لم يقع بينها تناقض.

٤- تسهيل الحفظ وتيسيره، لأن حفظ كلمة ذات أوجه أسهل وأقرب إلى الفهم من حفظ جمل من الكلام تؤدي معاني تلك القراءات.

---

[١] ينظر ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج١، ص٤٥- ٤٦.

٥- إعظام أجور هذه الأمة لما يبذلونه من جهود في تتبع معاني هذه القراءات واستنباط الحكم والأحكام منها.[١]

وقد جاءت هذه الدراسة لإبراز بعض هذه الفوائد والحكم من خلال الدراسة التطبيقية، وخاصة فيما يتعلق بالجانب البلاغي، وصلة ذلك بإعجاز القرآن الكريم.

[١] ينظر ابن الجزري، النشر، ج١، ص٤٧-٤٨. والزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج١، ص٨٥-٨٦.

المبحث الثاني

توجيه القراءات المتواترة في سورة الأنفال

التمهيد

سورة الأنفال سورة مدنية، عدد آياتها خمس وسبعون آية. وقد نزلت السورة بعد غزوة بدر الكبرى التي سماها الله عز وجل ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ (الأنفال: ٤١)، فقد كانت معركة فاصلة بين الحق والباطل، والتي أقيمت فيها الحجة الواضحة على المشركين فقد قال الله تعالى ﴿وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّـهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾ (الأنفال: ٤٢). وقد كان لهذه السورة أهمية كبرى لكونها قد نزلت بعد أول تجربة قتالية للمسلمين، فجاءت لتعزز العقائد والأخلاق والفضائل التي يجب أن تكون متأصلة في نفوس أفراد هذا المجتمع المسلم الواعد الذي أراد الله عز وجل له أن يكون المنار والهادي لأمم وشعوب العالم أجمع إلى الحق وإلى كلمة التوحيد.

وقد جاءت هذه السورة أيضاً لتقرر وتبين مبادئ السلم والحرب، والغنائم والأسرى، والمواثيق والمعاهدات، وعوامل النصر وعوامل الهزيمة، كما أنها اشتملت على تصوير لمشاهد هذه الغزوة بدقة تعبير وجمال أسلوب.

ونجد أن في هذه السورة تصويراً لمشاهد وأحداث من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين في مكة قبل الهجرة حيث كانوا مستضعفين، والهدف من ذلك تذكير المسلمين بفضل الله عليهم بأن منّ عليهم بالنصر مع قلة عددهم وعتادهم، وذلك حتى لا يدخلهم الغرور والعجب، وليتذكروا دائماً هدفهم الأعلى من الجهاد وهو إعلاء كلمة الله عز وجل.

هذا باختصار أهم ما اشتملت عليه السورة من موضوعات، وفيما يأتي توجيه للقراءات المتواترة فيها.

١- قوله تعالى ﴿أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ (الأنفال: ٩).

أ- قرأ نافع، وأبو جعفر، ويعقوب (مردَفين).

ب- وقرأ الباقون (مردِفين).[١]

(ردف) في اللغة أصل يدل على التتابع، فالرِّدْفُ: ما تَبِعَ الشيءَ، وكل شيء تَبِع شيئاً، فهو رِدْفُه، وإذا تَتابع شيء خلف شيء، فهو التَّرادُفُ، ورَدْفُ كل شيء: مؤخَّرُه. والرِّدْفُ: الكَفَلُ والعجُزُ، ورَدِفَ الرجلَ وأَرْدَفَه: رَكِبَ خَلْفَه، وارْتَدَفَه خَلْفَه على الدابة. ورَدِيفُكَ: الذي يُرادِفُك.[٢]

وقد اختلف العلماء في توجيه هاتين القراءتين، وكثرت التوجيهات فيهما؛ وذلك بسبب الاختلاف في معنى الفعل (أردف) الذي اشتق منه اسم الفاعل (مردِفين)، واسم المفعول (مردَفين)، فالفعل إما أن يكون بمعنى (اتّبع) الذي يتعدى إلى مفعول واحد، وإما أن يكون بمعنى (أتْبع) الذي يتعدى إلى

---

[١] ينظر ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج١، ص ٢٠٧-٢٠٨. والنشار، أبو حفص عمر بن زين الدين قاسم الأنصاري، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، ج ٢، ص ٥- ٢٢، ط١، ٤ مجلدات، طبعة وزارة الأوقاف القطرية، قطر، ٢٠٠٨م. والقاضي، عبد الفتاح، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة، ص ١٢٨- ١٣٣، مجلد واحد، دار الكتاب العربي، بيروت. وخاروف، محمد فهد، الميسر في القراءات الأربعة عشر، ص ١٧٧- ١٨٦، ط١، مجلد واحد، دار ابن كثير، دمشق، ١٩٩٥م. وكل ما سيأتي من بيان القراءات فمن هذه المراجع.

[٢] ينظر ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، جمهرة اللغة، ج٣، ص ٦٣٤، ط ١، ٣ مجلدات، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م. وابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي، لسان لعرب، ج٥، ص ١٨٩- ١٩٠، ط٢، ١٦ مجلد، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٩٩٣م. والفيروزأبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ص٨١٢، ط ٨، مجلد واحد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٥م.

مفعولين، وقد استقصى الآلوسي جميع المعاني المحتملة في ذلك، في حين اكتفى غيره ببيان بعضها، وفيما يلي بيان هذه الأوجه:

أ- قراءة (مردِفين)، ولها خمس احتمالات:

١- - الملائكة يتبعون المؤمنين. (وهذا على معنى الفعل المتعدي لمفعول واحد).

٢- الملائكة يتّبعون بعضهم بعضاً. (وهذا على معنى الفعل المتعدي لمفعول واحد).

٣- يُتبع الملائكة بعضهم بعضاً، أي جعلوا بعضهم يتبع بعضاً. (على معنى الفعل

المتعدي لمفعولين).

٤- يُتبع الملائكة بعضهم المؤمنين، أي جعلوا بعضاً منهم خلف المؤمنين. (على

معنى الفعل المتعدي لمفعولين).

٥- يُتبع الملائكة أنفسهم وجملتهم المؤمنين، أي جعلوا أنفسهم خلف المؤمنين. (على

معنى الفعل المتعدي لمفعولين).

ب- قراءة (مردَفين)، ولها أربع احتمالات:

١- الملائكة يتبعهم المؤمنون، فهم على ذلك مقدمة الجيش.

٢- الملائكة جعلوا أنفسهم تابعة للمؤمنين، فهم على ذلك ساقة الجيش، ليكونوا على

أعينهم وحفظهم.

٣- الملائكة يتبعهم ملائكة آخرون.

٤- الملائكة جعلوا أنفسهم تابعة لملائكة آخرين.[١]

[١] ينظر الآلوسي، محمود بن عبد الله الحسيني، روح المعاني، ج٩، ص ٩٧١، ٣٠ مجلد، دار إحياء التراث العربي، بيروت. وينظر الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، الكشاف، ج٢، ص ١٤٦، ٤مجلدات، دار الفكر، بيروت. والبيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج٣، ص٩٢، ٥ مجلدات، دار الفكر، بيروت. والنسفي، عبد الله بن أحمد، مدارك التنزيل، ج٢، ص ١٣٩، ٤ مجلدات، دار النفائس، عمان، ١٩٩٦م. وابن عطية، أبو محمد عبد الحق الأندلسي، المحرر الوجيز، ج٢، ص ٥٠٤- ٥٠٥، ٥ مجلدات، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م. وأبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط، ج٤، ص٤٦٥- ٤٦٦، ١٠مجلدات، دار الفكر، بيروت. والنحاس، معاني القرآن الكريم، ج ٣، ص١٣٤، ط١، نشر جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٩هـ. والقرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، ج٧، ص ٣٧٠، دار الكتب العلمية، بيروت. وابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص ١٧، ٨ مجلدات، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٩٥م. والرازي، محمد بن عمر بن الحسين، مفاتيح الغيب، ج٥، ص ٤٦٠، ٣٢ مجلد، دار إحياء التراث العربي، بيروت. وأبو السعود، محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج٢، ص٦، ٦مجلدات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م. شيخ زاده، محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجي، حاشية زاده على تفسير البيضاوي، ج٤، ص٣٦٧، ط ١، ٨ مجلدات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م. والشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير، ج٢، ص ٢٨٩- ٢٩٠، ٦ مجلدات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م. رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، ج٩، ص ٦٠٧، ط ٢، ١٢ مجلد، دار المنار، مصر، ١٩٤٧م. وابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج٩، ص٢٧٥- ٢٧٦، ٣٠مجلد، دار سحنون، تونس، ١٩٩٧م. وابن زنجلة، عبد الرحمن بن أحمد، حجة القراءات، ص ٣٠٧- ٣٠٨، مجلد واحد، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1982م. وابن خالويه، الحسين بن أحمد، الحجة في القراءات السبع، ص١٦٩، مجلد واحد، ط٤، دار الشروق، بيروت، ١٤٠١هـ. وأبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل، إبراز المعاني من حرز الأماني، ص٤٨٩، مجلد واحد، مطبعة مصطفى البابي، مصر، ١٩٨١م. وأبو علي الفارسي، الحسن بن عبد الغفار، الحجة للقراء السبعة، ج٤، ص ١٢٤- ١٢٥،

وفي الآثار ما يؤيد الاحتمالين الثالث والرابع، فقد أخرج ابن جرير عن علي رضي الله تعالى عنه قال: «نزل جبريل عليه السلام في ألف من الملائكة عن ميمنة النبي صلى الله عليه وسلّم وفيها أبو بكر رضي الله تعالى عنه، ونزل ميكائيل عليه السلام في ألف من الملائكة عن ميسرة النبي صلى الله عليه وسلّم وأنا فيها».[١] وعليه حمل ابن كثير قراءة (مردَفين).[٢]

وقد أنكر الطبري أن يكون المراد اتباع الملائكة للمسلمين، فقال: ÷وأما قول من قال: معنى ذلك إذا قرىء «مُرْدَفِينَ» بفتح الدال: أن الله أردف المسلمين بهم، فقول لا معنى له إذ الذكر الذي في مردفين من الملائكة دون المؤمنين. وإنما معنى الكلام: أن يمدّكم بألف من الملائكة يردَف بعضهم ببعض، ثم حذف ذكر الفاعل، وأخرج الخبر غير مسمى فاعله، فقيل: مُرْدَفِينَ بمعنى: مردَف بعضُ الملائكة ببعض، ولو كان الأمر على ما قاله من ذكرنا قوله وجب أن يكون في المردَفين ذكر المسلمين لا ذكر الملائكة، وذلك خلاف ما دلّ عليه ظاهر القرآن×.[٣] وقد رجح الطبري قراءة (مردِفين) فقال: ÷والصواب من القراءة في ذلك عندي قراءة من قرأ: (بألْفٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ) بكسر الدال لإجماع أهل التأويل على ما ذكرت من تأويلهم أن معناه: يتبع بعضهم بعضا ومتتابعين. ففي إجماعهم على ذلك من التأويل

ط١، دار المأمون، دمشق، ١٩٩١م. وقمحاوي، محمد الصادق، طلائع البشر في توجيه القراءات العشر، ص٧٧، مجلد واحد، ط١، عالم الكتب، بيروت، ٢٠٠٣م. ومحيسن، محمد سالم، المستنير في تخريج القراءات المتواترة، ص ٢٠٩، مجلد واحد، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٩م.

[١] ينظر الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان، ج٩، ص١٢٦، ٣٠مجلد، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٠م.

[٢] ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص ١٧.

[٣] الطبري، جامع البيان، ج٩، ص١٢٧.

الدليل الواضح على أن الصحيح من القراءة ما اخترنا في ذلك من كسر الدال، بمعنى: أردف بعض الملائكة بعضا، ومسموع من العرب: جئت مِرْدِفا لفلان: أي جئت بعده×[١].

وما ذكره الطبري مخالف لما استقر عليه رأي العلماء من وجوب قبول القراءات المتواترة وعدم تضعيف أو رد شيء منها، ولكن التوجيهات التي ذكرها العلماء لم تبرز –من وجهة نظري– بلاغة هاتين القراءتين، وكان جل اهتمامهم بيان سلامة التركيب اللغوي، والمعنى الإجمالي له.

وقد تأملت القراءتين طويلاً فتجلت لي فيهما بعض المعاني، فأقول بعد الاستعانة بالله تعالى:

إن القراءتين لا تعطي كل منهما معنىً منفصلاً، بل هما متكاملتان في تصوير المشهد في غزوة بدر، ويمكن أن نطبق عليهما قاعدة التصوير الفني التي أصلها سيد قطب –رحمه الله– في كتابه التصوير الفني في القرآن حيث قال: ÷التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني، والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة....ويجب أن نتوسع في معنى التصوير الفني في القرآن، فهو تصوير باللون وتصوير بالحركة، وتصوير بالتخييل...×.[٢] والقراءتان فيهما تصوير بالحركة المتجددة، فالملائكة حسب القراءة الأولى (مردِفين) متّبِعين لغيرهم من الملائكة، وما يلبث هؤلاء حتى يكونوا متبوعين بغيرهم من الملائكة

---

[١] الطبري، جامع البيان، ج٩، ص١٢٦.

[٢] قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن، ص ٣٦– ٣٧، مجلد واحد، ط ١٨، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٦م.

وهو المعنى الذي تصوره قراءة (مردَفين)، وهكذا تستمر أفواج الملائكة بالقدوم في حركة متجددة، يتحول فيها التابع متبوعاً، وذلك بغض النظر عن الخلاف في عدد الملائكة هل هم ألف أم أكثر؟ فالغرض من هذه الآية –بقراءتيها– بيان عظم فضل الله عز وجل في إمداد المؤمنين بالملائكة في معركتهم الأولى مع الكفار.[١]

٢– قوله تعالى ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ (الأنفال:١١).

أ– قرأ ابن كثير، وأبو عمرو (يغشاكم النعاسُ).

ب– وقرأ نافع، وأبو جعفر (يُغْشِيكم النعاسَ).

ج– وقرأ الباقون (يُغَشِّيكم النعاسَ).

الفاعل في القراءة الأولى هو النعاس، وعلى القراءتين الثانية والثالثة الفعل مسند لله عز وجل. ولم يبين أغلب العلماء سر التعبير بهذه الصيغ، واكتفى بعضهم ببيان وجه اختيار كل قراءة، فالقراءة الثانية والثالثة ناسبت قوله تعالى (وينزل عليكم من السماء ماء) (الأنفال:11) حيث جاء الفعل مسنداً لله عز وجل، وبذلك ينتظم الكلام على سياق واحد، وهو اختيار الطبري. أما حجة القراءة الأولى فقوله تعالى ﴿أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ﴾ (آل عمران:154)، فقد أسند الفعل هنا للنعاس.[٢] وقد حاول ابن عاشور أن يلفت الانتباه إلى سر اختلاف إسناد الفعل في هذه القراءات، فقال: ÷فإسناد

---

[١] لم تبين الباحثة أحلام بلاغة التعبير بالقراءتين واكتفت ببيان المعنى الإجمالي لهما وبيان عدم تعارضهما دون استقصاء لجميع التوجيهات. ينظر أبو شعبان، أحلام مصباح، تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر من خلال سور: الأنفال والتوبة ويونس، رسالة ماجستير، إشراف: د. زهدي أبو نعمة، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠٠٦، ص٧٤.

[٢] ينظر الطبري، جامع البيان، ج٩، ص١٢٩. وابن زنجلة، حجة القراءات، ص٣٠٨–٣٠٩.

الإغشاء أو التغشية إلى الله لأنه الذي قدر أن يناموا في وقت لا ينام في مثله الخائف، ولا يكون عامّاً سائرَ الجيش، فهو نوم منحهم الله إياه لِفائِدتهم. وإسناد الغشي إلى النعاس حقيقة على المتعارف وقد علم أنه من تقدير الله بقوله (أَمَنَةً مِّنْهُ)×.[١] وبما أن المقام كان للتذكير بأفضال الله عليهم في تلك الغزوة جاءت إحدى القراءات لتوضح وتبين أن هذا النعاس كان من عند الله عز وجل ومن جملة ما امتن عليهم به في تلك الفترة. أما إسناد التغشية إلى النعاس فهو لتصوير تلك الحالة التي داهمهم فيها النعاس فلم يستطيعوا دفعه أو مقاومته. وقد ذكر شيخ زاده توجيهاً لطيفاً لقراءة ابن كثير – حيث جاء الفعل فيها مسنداً إلى النعاس– فقال: ÷ويحتمل أن يكون إسناد الأمنة إلى النعاس تخييلاً للاستعارة بالكناية، بأن يشبه النعاس بشخص من شأنه أن يغشى القوم حال أمنه، ولا يغشاهم حال خوفه، إلا أنه لما حصل له من الله تعالى الأمن من الكفار غشى القوم وأنامهم×.[٢]

وبقي الاختلاف بين الفعلين (يغشِيكم) المخفف، و(يغَشِّيكم) المشدد، وتشديد الفعل يدل على المبالغة وتكثير المعنى، قال سيبويه: ÷تقول: كسرتها وقطعتها فإذا أردت كثرة العمل قلت: كسرته وقطعته ومزقته×.[٣] لذلك جاء قراءة التشديد لتدل على فشو هذا الأمر وانتشاره بينهم، فلم يبق أحد منهم إلا وقد أصابه النعاس. ومن معاني التشديد أيضاً الدلالة على تكرر الفعل، كحال

---

[١] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٩، ص٢٧٧.

[٢] شيخ زاده، حاشية زاده على البيضاوي، ج٤، ص٣٦٩– ٣٧٠. وينظر السمين الحلبي، أبو العباس بن يوسف بن محمد، الدر المصون، ج٣، ص ٤٠٢، ط١، ٥ مجلدات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م.

[٣] سيبويه، الكتاب، ج٤، ص١٧٥، ٥ مجلدات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م. وينظر أبو ليث السمرقندي، نصر بن محمد، بحر العلوم، ج٢، ص ١٠، ٣ مجلدات، دار الفكر، بيروت.

الإنسان الذي يغلبه النعاس فيغفو ثم يفيق لحظة، ثم يعاوده النعاس فيغفو مرةً تلو الأخرى، وقد جاء في صحيح البخاري ما يؤيد هذا المعنى، فعن أبي طلحة رضي الله عنه قال: «كنتُ فيمن تَغَشّاه النعاس يومَ أُحُد حتى سَقط سيفي من يدي مراراً».[١] والرواية وإن كانت عن غزوة أحد فإن الوضع مشابه لما حدث في غزوة بدر من غشيان النعاس لهم، والله أعلم. ويمكن أن يكون سبب الاختلاف في التعبير هو اختلاف أحوالهم، قال محمد رشيد رضا: ÷ودلالة قراءة التشديد على التدرج أو المبالغة دون قراءة التخفيف فيحمل اختلافها على اختلاف حال من غشيهم النعاس، فهو لا يكون عادة إلا بالتدرج، ويكون أشد على بعض الناس من بعض×.[٢]

٣- قوله تعالى ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ﴾ (الأنفال:١١).

أ- قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب (ويُنْزِل).

ب- وقرأ الباقون (ويُنَزِّل).

ويمكن أن يقال فيها كما قيل في قراءة التشديد في (يُغشِّيكم)، فهي إما إن تدل على الانتشار والكثرة، وإما أن تدل على التكرار. والغرض من ذلك كله تصوير أحداث تلك الغزوة الفاصلة.

٤- قوله تعالى ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ (الأنفال:١٢)

أ- قرأ ابن عامر، والكسائي، وأبو جعفر، ويعقوب (الرُّعُب).

ب- وقرأ الباقون (الرُّعْب).

---

[١] البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، الجامع الصحيح، كتاب المغازي، باب (ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة)، ج٤، ص ١٤٩٢، حديث (٣٩٧٩)، ٩ مجلدات، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

[٢] رضا، تفسير المنار، ج٩، ص ٦١٠.

وهذا الاختلاف من باب اختلاف اللهجات، وليس من اختلاف المعاني. فقد جاء في اللسان ÷الرُّعْبُ والرُّعُبُ: الفَزَع والخَوفُ×.[١]

وهذا خلافاً لما ذكرته الباحثة أحلام، فقد جعلت قراءة السكون للدلالة على تخفيف الله تعالى من عمل الملائكة، فالرعب خاطر شيطاني، فألقاه الله تعالى في قلوب الكفار بواسطة أخرى، أما قراءة الضم فجعلتها للدلالة على شدة الرعب، واستندت في ذلك كله على ما ذكره ابن عاشور في تفسيره،[٢] وليس في اللغة ما يدل على ما ذكرته الباحثة، كما أن ابن عاشور لم يستنبط هذه المعاني من دلالة القراءات، وإنما كان تفسيرا عاما للآية،[٣] لذا فربط هذه المعاني بالقراءات تكلف ظاهر، والصواب أن هذه القراءات راجعة إلى اختلاف اللغات.

٥- قوله تعالى ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ (الأنفال:١٧).

أ- قرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف (ولكِن اللهُ قتلهم، ولكِن اللهُ رمى) بالتخفيف، ورفع لفظ الجلالة.

ب-وقرأ الباقون (ولكنّ اللهَ قتلهم، ولكنّ اللهَ رمى) بالتشديد، ونصب لفظ الجلالة.

أحال أبو حيان في توجيه هذه القراءات إلى ما فصله في موضع مشابه في سورة البقرة في قوله تعالى (ولكن الشياطين كفروا) (البقرة:102) حيث قرئ بالتشديد والتخفيف، لكنه قصر كلامه على التوجيه النحوي، فذكر الخلاف في

---

[١] ابن منظور الإفريقي، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ج١، ص ٤٠٤، طبعة وزارة الأوقاف السعودية. وينظر الفيروزأبادي، القاموس المحيط، ص ٨٩.

[٢] ينظر أبو شعبان، تفسير القرآن بالقراءات العشر، ص٨٢.

[٣] ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٩، ص ٢٨٢-٢٨٣.

إعمال لكن المخففة ورجح عدم الإعمال، وذكر الخلاف في كونها من حروف العطف، ورجح عدم كونها من حروف العطف، وذكر الخلاف في كونها مركبة أم بسيطة، ورجح كونها بسيطة، ولم يتطرق إلى التوجيه البلاغي للقراءتين.[١] أما ابن زنجلة فذكر أن (لكنّ) حرف تحقيق، و(لكن) حرف استدراك.[٢]وهو توجيه حسن، وعليه تكون قراءة التخفيف مفيدة للاستدراك، أما قراءة التشديد فمفيدة للاستدراك مع التحقيق، لزيادة التأكيد، وهذا مناسب لاختلاف أحوال السامعين، فمنهم من يكون الاستدراك المجرد كافياً له لتقرير المعنى لهم، أما المتشككين فلا بد من استعمال أسلوب التأكيد والتحقيق معهم.

٦- - قوله تعالى ﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ (الأنفال:١٨).

أ- قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر (مُوَهِّنٌ كيدَ).

ب- وقرأ حفص (مُوْهِنُ كيدِ).

ج- وقرأ الباقون (مُوْهِنٌ كيدَ).

وهذه القراءات تختلف من جانبين، لكل منهما دلالته:

الجانب الأول الاختلاف بالتشديد والتخفيف، والتشديد يفيد تكرر وقوع الفعل، قال ابن زنجلة: ÷وحجتهم في ذلك أن التشديد إنما وقع لتكرر الفعل، وذلك ما ذكره الله من تثبيت أقدام المؤمنين بالغيث، وربطه على قلوبهم، وتقليله إياهم في أعينهم عند القتال، فذلك منه شيء بعد شيء وحال بعد حال، في وقت بعد وقت×.[٣]

أما الجانب الثاني فهو الاختلاف في اسم لفاعل من حيث الإضافة وعدمها، والتنوين وعدمه، وهذا الأمر له علاقة بالدلالة على الزمن، وهو الذي سماه

---

[١] ينظر أبو حيان، البحر المحيط، ج١، ص٣٢٦- ٣٢٧.

[٢] ينظر ابن زنجلة، حجة القراءات، ص١٠٨.

[٣] ابن زنجلة، حجة القراءات، ص٣٠٩.

الدكتور طه آغا بالزمن النحوي، فقال: ÷الزمن إما صرفي على المستوى التحليلي، أو نحوي على المستوى التركيبي، فالمدلول الزمني للكلمة وهي خارج السياق شيء، ومدلولها داخل السياق والتراكيب شيء آخر، لأن الدلالة الزمنية للصيغ الصرفية تتحول بحسب السياق ونوعية الاستعمال إلى أزمنة أخرى غير ما تدل عليه أبنيتها الصرفية... فاسم الفاعل المضاف بغير تنوين في الجملة يدل على الزمن الماضي، أما المنون غير المضاف فهو الذي ينتج دلالة الاستقبال×.[١] وبناءً على ذلك تدل القراءتان الأولى والثالثة على الاستقبال، وتدل القراءة الثانية على الماضي، وبسبب تنوع هذه القراءات أفادت الآية معاني كثيرة، فيكون معنى الآية: إن الله عز وجل موهن كيد الكافرين، وموَهِّن كيدهم حالاً بعد حال، ووقتاً بعد وقت، في الماضي والحاضر والمستقبل.[٢] ولو أن هذه الآية نزلت على وجه واحد لما أفادت هذه المعاني كلها، وفي ذلك دلالة على إعجاز القراءات القرآنية بتنوع معانيها التي لا تتناقض ولا تتعارض.[٣]

٧- قوله تعالى ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال: ١٩).

أ- قرأ نافع، وابن عامر، وحفص، وجعفر (وأن الله مع المؤمنين) بفتح الهمزة.

---

[١] آغا، طه صالح أمين، التوجيه اللغوي للقراءات القرآنية عند الفراء في معاني القرآن، ص٣٢٠- ٣٢١، مجلد واحد، ط١، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٧م.

[٢] ينظر المتولي، صبري المتولي، التوجيه اللغوي والبلاغي لقراءة الإمام عاصم، ص٢٠٤، مجلد واحد، دار غريب، مصر، ١٩٩٨م.

[٣] وهو موافق لما ذكرته الباحثة أحلام أبو شعبان، ينظر أبو شعبان، تفسير القرآن بالقراءات العشر، ص٩٦.

ب- وقرأ الباقون (وإن الله مع المؤمنين) بكسر الهمزة.

قراءة الفتح على إضمار حرف الجر، أي ولأن الله مع المؤمنين، وهي تفيد التعليل، أما قراءة الكسر فهي على الاستئناف، الذي يفيد التحقيق،[١] وقد رجح الطبري والزمخشري قراءة الكسر. والصواب من وجهة نظري تكامل القراءتين فقراءة الفتح عللت الحكم المذكور، أي لن تغني عنكم فئتكم شيئاً لأن الله مع المؤمنين، أما قراءة الكسر فقد أفادت التأكيد والتحقيق للرد على كل متشكك بنصر الله عز وجل للمؤمنين، وهي مع ذلك تفيد التعليل أيضاً فقد قال ابن عاشور: ÷وقرأه الباقون بكسر الهمزة، فهو تذييل للآية في معنى التعليل، لأن التذييل لما فيه من العموم يصلح لإفادة تعليل المذيّل، لأنه بمنزلة المقدمة الكبرى للمقدمة الصغرى×.[٢]

٨- قوله تعالى ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ الأنفال:٢٨.

أ- قرأ نافع وأبو جعفر وابن عامر وحفص بفتح الهمزة (أن).

ب- وقرأ الباقون بكسرها (إن)[٣]

فعلى قراءة الفتح تكون الواو عاطفة، و(أن) حرف توكيد ونصب، وجملة أن واسمها وخبرها معطوفة على ما سد مسد مفعولي (اعلموا)،[٤] والتعبير بفعل

---

[١] ينظر مكي، ابن أبي طالب القيسي، مشكل إعراب القرآن، ج ١، ص ٣١٣، ط ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ.

[٢] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٩، ص٣٠١.

[٣] لم أجد فيما اطلعت عليه من تفاسير وكتب توجيه القراءات من وجه هاتين القراءتين.

[٤] ينظر ياقوت، محمود سليمان، إعراب القرآن الكريم، ١٠ مجلدات، دار المعرفة الجامعية، مصر، ج٤، ص١٧٨٥. ووجهت الباحثة أحلام قراءة الفتح على تقير حرف الجر(بأن) دون أن تعزو ذلك إلى مصدر، ينظر أبو شعبان، تفسير القرآن بالقراءات العشر، ص١٠٧.

(اعلموا) يدل على الاهتمام،[١] فالجملة داخلة في حكم الجملة قبلها، ودل العطف على الاهتمام بمضمونها مع إفادة حرف (أن) التوكيد.

وعلى قراءة الكسر، تكون الواو على الاستئناف، و(إن) يفيد التوكيد، فدلت القراءتان على توكيد الأمر والعناية به بأسلوبين مختلفين.

٩- قوله تعالى ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ (الأنفال: ٣٧).

أ- قرأ حمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف (ليُمَيِّز).

ب- وقرأ الباقون (ليَمِيز).

جاء في اللسان: ÷ مزت الشيء أميزه مَيْزاً: عزلته وفرزته، وكذلك ميّزْته تمييزاً فانماز×.[٢] والتمييز يكون أحياناً في الأمور المادية، وأحياناً في الأمور المعنوية، قال الراغب: ÷والتمييز يقال تارة للفصل، وتارة للقوة التي في الدماغ وبها تستنبط المعاني×. [٣] وقد فسر ابن كثير الآية بهذين المعنيين، فقال: ÷وهذا يحتمل أن يكون هذا التمييز في الآخرة كقوله: ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ يونس: ٢٨ الآية، وقوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ الروم: ١٤، وقال في الآية الأخرى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ الروم: ٤٣، وقال تعالى ﴿وَٱمْتَـٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ يس: ٥٩، ويحتمل أن يكون هذا التمييز في الدنيا بما يظهر من أعمالهم للمؤمنين×.[٤]

---

[١] ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٩، ص٣٢٤.

[٢] ابن منظور الأفريقي، لسان العرب، ج٧، ص٢٨٠.

[٣] الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن، ص٧٨٣، تحقيق صفوان عدنان، دار القلم، دمشق، ط٥، ٢٠١١.

[٤] ابن كثر، تفسير القرآن العظيم، ج٢، ص٢٩٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٩.

ويرى ابن عاشور أن القراءتين بمعنى واحد لإسناد الفعل فيهما إلى الله تعالى،[١] ويرى آخرون أن في قراءة التشديد دلالة على التكثير،[٢] ومنه استنبطت الباحثة أحلام أبو شعبان أن اختلاف القراءتين للإشارة إلى اختلاف حالات التمييز، فهناك حالات يكون التمييز واضحا بين الكفر والإيمان، وبين الأموال التي تنفق في سبيل الله والأموال التي تنفق في سبيل الشيطان، وهناك حالات تحتاج إلى دقة وشدة في التمييز، كتمييز المنافقين عن الصادقين المؤمنين،[٣] وهو توجيه حسن لطيف.

ويمكن أن يقال أيضا إن اختلاف القراءتين فيه إشارة إلى نوعين من التمييز بين الكفار والمؤمنين، تمييز حسي بالفصل بينهم يوم القيامة، وتمييز معنوي في الدنيا من خلال اختلاف أعمالهم وصفاتهم، قال زاده: ÷وإن كان كل منهما يتعدى إلى واحد تقول: مزت الشيء، وميّزت الشيء، وتميزت الشيء، فانماز وامتاز وتميز كلها بمعنى إلا أن الثاني أبلغ لدلالته على الأعمال×.[٤]

١٠- قوله تعالى ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (الأنفال: ٣٩).

أ- قرأ رويس (تعملون) بالخطاب.

ب- وقرأ الباقون (يعملون) بالغيبة.

قراءة الغيبة المقصود بها الكفار، أي: إن انتهى الكفار عن كفرهم وفتنة المسلمين فإن الله بصير بذلك وسيجازيهم عليه.

---

[١] ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٩، ص٣٤٣.

[٢] ينظر ابن زنجلة، حجة القراءات، ص١٨٢.

[٣] ينظر أبو شعبان، تفسير القرآن بالقراءات العشر، ص١١٥.

[٤] شيخ زاده، حاشية زاده على البيضاوي، ج٤، ص ٣٩٣- ٣٩٤.

أما قراءة الخطاب فتحتمل معنيين:

أ- الخطاب للمسلمين والمعنى: إن الله بما تعملون أيها المسلمون من الجهاد في سبيله والدعوة إلى دينه والإخراج من ظلمة الكفر إلى نور الإسلام بصيرٌ يجازيكم عليه أحسن الجزاء.[١]

ب- وذكر د. محمد محيسن أن قراءة (تعملون) قد يكون الخطاب فيها موجه إلى الكفار لكنه على سبيل الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، والالتفات ضرب من ضروب البلاغة.[٢]

وأرى أن تحمل القراءات على جميع هذه المعاني، فلا تناقض بينها، وهذا من بلاغة القراءات القرآنية في دلالتها على المعاني المتنوعة دون تناقض.[٣]

١١- قوله تعالى ﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ﴾ (الأنفال:٤٢).

أ- قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب (بالعِدْوَة) في الموضعين.

ب- وقرأ الباقون (بالعُدْوَة) في الموضعين.

وهذا من باب اختلاف اللهجات مثل (جُذوة، جِذوة)،[٤] قال الطبري: ÷وهما لغتان مشهورتان بمعنى واحد، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب×.[٥] وأصل العدو

---

[١] ينظر الزمخشري، الكشاف، ج ٢، ص ١٥٧، وأبو حيان، البحر المحيط، ج٤، ص ٤٩٤. والآلوسي، روح المعاني، ج١٠، ص ٨.

[٢] ينظر محيسن، محمد سالم، المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة، ج٢، ص١٩٠، ٣ مجلدات، ط٢، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨م.

[٣] أخطأت الباحثة أحلام حيث اعتبرت قراءة الخطاب موجهة إلى المسلمين وفيها التفات من الغيبة إلى الخطاب، وذكرت أن في الالتفات دلالة على العموم، وهو خطأ فالالتفات لا يدل على العموم ولكن فيه تلوين في الأسلوب في الحديث عن الفئة نفسها. ينظر أبو شعبان، تفسير القرآن بالقراءات العشر، ص١١٧-١١٨.

[٤] ينظر ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٣١٠- ٣١١.

[٥] الطبري، تفسير القرآن، ج١٠، ص٨.

التجاوز ومنافاة الالتئام.[١] و(العدوة) شفير الوادي وحرفه الذي يتعذر المشي فيه بمنزلة رحى البئر، لأنها عدت ما في الوادي من ماء ونحوه أن يتجاوز الوادي أي منعته.[٢]

١٢- قوله تعالى ﴿وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾ (الأنفال: ٤٢).

أ- قرأ نافع، والبزي، وقنبل بخلف عنه، وشعبة، وأبو جعفر، ويعقوب، وخلف (من حيي).

ب- وقرأ الباقون (من حيَّ)، وهو الوجه الثاني لقنبل.

الإظهار والإدغام في هذه الكلمة وجهان فصيحان، فوجه الإظهار الإتيان بالفعل على أصله، واستثقال الإدغام والتشديد في الياء، وتشبيهه بياء (يحيي) من قوله تعالى (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) (القيامة: 40). أما وجه الإدغام أن الياء الأولى من (حيي) يلزمها الكسر كما يلزم عين (عضضت، وشممت) فصارت بلزوم الحركة لها كغيرها من حروف السلامة فصارت كالصحيح في نحو: (عضّ، وشمّ) وأجري هذا مجراه فأدغم إذ صارت الياء الأولى بالحركة في حكم الصحيح، فإذا لزمت الحركة لام الفعل جاز الإدغام.[٣] وللمفسرين قولان في تفسير الآية، هما:

---

[١] ينظر الراغب الأصفهاني، مفردات القرآن، ص ٥٥٣.

[٢] ينظر ابن عطية، المحرر الوجيز، ج٢، ص ٥٣٢. وقد ذكرت الباحثة أحلام توجيهاً للقراءتين دون دليل، فقالت إن قراءة الضم تدل على ارتفاع المنطقتين، وقراءة الكسر تدل على بعد المسافة بينهما. ينظر أبو شعبان، تفسير القرآن بالقراءات العشر، ص ١٢١.

[٣] ينظر أبو حيان، البحر المحيط، ج٤، ص٥٠٠- ٥٠١. والنسفي، مدار التنزيل، ج٢، ص١٥١. وابن عطية، المحرر الوجيز، ج٢، ص٥٣٣- ٥٣٤. وأبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ج٤، ص١٢٩- ١٤٤. ابن زنجلة، حجة القراءات، ص٣١١. وابن أبي مريم، نصر بن علي بن محمد الشيرازي الفارسي، الموضح في وجوه القراءات وعللها، ج٢،

أ- ليموت من مات من خلقه عن حجة لله قد أثبتت له، وقطعت عذره، وعبرة قد عاينها ورآها. ويعيش من عاش منهم عن حجة لله قد أثبتت له، وأظهرت لعينيه فعلمها، جمعنا بينكم وبين عدوكم هنالك. وهذا القول ذكره الطبري وأبو حيان في تفسير الآية وفيه حمل للألفاظ على حقيقتها.[1]

ب- وحمل بعض المفسرين الألفاظ في هذه الآية على المجاز، وهو القول الذي نقله الطبري وغيره عن ابن إسحاق،[2] فالهلاك مستعار للكفر، والحياة مستعارة للإيمان، وعده ابن كثير تفسيراً جيداً. ولم يذكر الزمخشري والنسفي غير هذا القول في تفسير الآية.[3]

وقد ذكرت الباحثة أحلام أبو شعبان نقلاً عن البقاعي أن في قراءة إظهار الياءين دلالة على حياة بالإسلام هي أعلى الكمال، وفي قراءة الإدغام دلالة

٥٧٩- ٥٨٠، ٣مجلدات، ط١، ١٩٩٣م. محيسن، المغني في توجيه القراءات، ج٢، ص١٩١- ١٩٢.

[1] ينظر الطبري، جامع البيان، ج١٠، ص٨. وأبو حيان، البحر المحيط، ج٤، ص٥٠٠.

[2] ينظر الطبري، جامع البيان، ج١٠، ص٨. وأبو حيان، البحر المحيط، ج٤، ص ٥٠٠. والنحاس، أبو جعفر، معاني القرآن، ج٣، ص ١٥٩- ١٦٠، ط١، ٦ مجلدات، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٩هـ.

[3] ينظر الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص١٥٨. والنسفي، مدارك التنزيل، ج٢، ص ١٥١. وقد استبعد ابن عاشور إرادة الحقيقة من (هلك، وحي) لأنه وإن صح المعنى في قوله: (لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ) فلا يتحمّله في قوله: (وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ) لأنّ حياة الأحياء ثابتة لهم من قبل يوم بدر. ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٠، ص٢١. والصواب خلاف ما ذكر؛ لأنه يصح حمل لفظ (حي) على الحقيقة بمعنى المشارفة على الحياة فيكون المعنى لتدوم حياة من أشرف على دوامها. وقد فصل ذلك الآلوسي في تفسيره. ينظر الآلوسي، روح المعاني، ج١٠، ص٣٨.

على حياة في أدنى الكمال لمن كانت حياته بالإسلام ناشئة بعد بيان الحق في غزوة بدر.[١]

وأرى أن اختلاف القراءات هنا يرجع إلى إثبات أوجه فصيحة للكلمة، وما ذكره البقاعي لا دليل عليه.

١٣- قوله تعالى ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (الأنفال: ٤٤).

أ- قرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف (تَرجع).

ب- وقرأ الباقون (تُرجع).

أحال أبو حيان في توجيه هذه القراءة إلى ما ذكره في سورة البقرة في قوله تعالى ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (البقرة: ٢١٠). وقد قال في هذه الآية: ÷وإذا كان الفعل مبنياً للمفعول فالفاعل المحذوف، إما الله تعالى، يرجعها إلى نفسه بإفناء الدنيا وإقامة القيامة، أو ذوو الأمور، لما كانت ذواتهم وصفاتهم شاهدة عليهم بأنهم مخلوقون محاسبون مجزيون، كانوا رادّين أمورهم إلى خالقها، قيل: أو يكون ذلك على مذهب العرب في قولهم: فلان معجب بنفسه، ويقول الرجل لغيره: إلى أين يُذهب بك؟ وإن لم يكن أحد يذهب به. انتهى. وملخصه: إنه يبني الفعل للمفعول ولا يكون ثم فاعل، وهذا خطأ، إذ لا بد للفعل من تصوّر فاعل، ولا يلزم أن يكون الفاعل للذهاب أحداً، ولا الفاعل للإعجاب، بل الفاعل غيره، فالذي أعجبه بنفسه هو رأيه، واعتقاده بجمال نفسه، فالمعنى أنه أعجبه رأيه، وذهب به رأيه، فكأنه قيل: أعجبه رأيه بنفسه،

---

[١] ينظر البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج٨، ص٢٨٦، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة. وينظر أبو شعبان، تفسير القرآن بالقراءات العشر، ص ١٢٢.

وإلى أين يذهب بك رأيك أو عقلك؟ ثم حذف الفاعل، وبني الفعل للمفعول×.[١]
وقال ابن عاشور: ÷(تُرْجَعُ) ـ بضمّ التاء وفتح الجيم ـ أي يَرجعها، راجع إلى الله، والذي يرجعها هو الله فهو يرجعها إليه. وقرأ البقية (تَرْجِعُ) ـ بفتح التاء وكسر الجيم ـ أي: ترجع بنفسها إلى الله، ورجوعها هو برجوع أسبابها×.[٢] هذا ما ذكره أبو حيان وابن عاشور، ولكنهما لم يبينا سر اختلاف التعبيرين وما يترتب عليهما من معانٍ. فالفعل (تَرجِع) فعل لازم، أي الأمور ترجع بنفسها، أما الفعل (تُرجَع) فهو متعدٍّ، فالله عز وجل يُرجع الأمور، ومجموع القراءتين يفسران قضاء الله تعالى وقدره، فالله عز وجل قدر وقضى أموراً بعلمه وحكمته وقدرته وهذا ما تشير إليه قراءة البناء للمفعول، وجعل لهذه الأمور أسبابها وهذا ما تشير إليه قراءة البناء للفاعل.[٣]

١٤- قوله تعالى ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا ۙ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (الأنفال:٥٠).

أ- قرأ ابن عامر (إذ تتوفى).

ب- وقرأ الباقون (إذ يتوفى).

وهذا من باب الاختلاف بتأنيث الفعل وتذكيره، ووجه التأنيث أن لفظ الملائكة مؤنث، والمراد به جماعة الملائكة. أما وجه التذكير أن تأنيث الملائكة غير

---

[١] أبو حيان، البحر المحيط، ج٢، ص١٢٥.

[٢] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٠، ص٢٩.

[٣] لم تبين الباحثة أحلام العلاقة بين القراءتين واكتفت بنقل كلام ابن عاشور في تفسير جملة (وإلى الله ترجع الأمور) دون أن تبين صلة ذلك بالقراءتين. ينظر أبو شعبان، تفسير القرآن بالقراءات العشر، ص١٢٦-١٢٧. ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٠، ص٢٨.

حقيقي، لا سيما وقد فصل بين الفعل وفاعله، ولأن المراد جمع الملائكة كما يقال (قال الرجال) أي جمع الرجال.[١]

والفاعل في قراءة (تتوفى) الملائكة، أما على قراءة (يتوفى) فهناك احتمالان، فإما أن يكون الله عز وجل هو الذي توفاهم، وإما أن يكون الفاعل الملائكة، قال أبو حيان: ÷والظاهر أنّ الملائكة فاعل يتوفى ويدلّ عليه قراءة ابن عامر والأعرج تتوفى بالتاء وذكر في قراءة غيرهما لأن تأنيث الملائكة مجاز وحسنه الفصل، وقيل: الفاعل في هذه القراءة ضمير الله، والملائكة مبتدأ والجملة حاليّة، كهي في يضربون، قال ابن عطية: ويضعفه سقوط واو الحال، فإنها في الأغلب تلزم مثل هذا انتهى،[٢] ولا يضعفه إذ جاء بغير واو في كتاب الله وفي كثير من كلام العرب×.[٣] ورجح النسفي توافق القراءتين في الإعراب قائلاً: ÷وقيل: في (يَتَوَفَّى) ضمير الله تعالى، و (ٱلْمَلائكَة) مرفوعة بالابتداء، و(يَضْرِبُونَ) خبر، والأول الوجه،[٤] لأن الكفار لا يستحقون أن يكون الله متوفيهم بلا واسطة، دليله قراءة ابن عامر بالتاء×.[٥] فاستدل النسفي بقراءة ابن عامر لترجيح وجه من وجوه الإعراب، وأرى أن لا تعارض بين القراءتين

---

[١] ينظر ابن أبي مريم، الموضح، ج2، ص580. ومحيسن، المغني، ج٢، ص١٩٣.

[٢] ينظر ابن عطية، المحرر الوجيز، ج٢، ص٥٤٠.

[٣] أبو حيان، البحر المحيط، ج٤، ص ٥٠٧. وينظر أبو البقاء العكبري، عبد الله بن الحسين، التبيان في إعراب القرآن، ج٢، ص ٨، مجلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

[٤] يقصد الوجه الأول من الإعراب، وهو كون الفاعل ضمير الملائكة.

[٥] النسفي، مدارك التنزيل، ج٢، ص١٥٥.

حتى لو اختلف الفاعل، بل في أسناد الفعل لله مزيد قهر وإرهاب للكفار، ولا مانع من حمل القراءات على جميع هذه المعاني.[١]

١٥- قوله تعالى ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ (الأنفال: ٥٩).

أ- قرأ ابن عامر، وحفص، وحمزة، وأبو جعفر (ولا يَحْسَبَنَّ).[٢]

ب- وقرأ شعبة (ولا تَحْسَبَنَّ).

ج- وقرأ إدريس بخلف عنه (ولا يَحْسِبَنَّ).

د- وقرأ الباقون (ولا تَحْسِبَنَّ). وهو الوجه الثاني لإدريس.

١٦- وفي الآية السابقة:

أ- قرأ ابن عامر (أنهم لا يعجزون).

ب- وقرأ الباقون (إنهم لا يعجزون).

الاختلاف في كسر السين وفتحها في كلمة (يحسبن) هو من باب اختلاف اللغات.[٣] أما اختلاف الفعل من حيث الغيبة والخطاب (يحسبن، تحسبن) فهو من باب اختلاف المعاني، فعلى قراءة (يحسبن) الفاعل (الذين كفروا)، والمفعول الأول محذوف وتقديره (أنفسهم)، والمفعول الثاني (سبقوا) مع تقدير (أن) قبله، ويكون المعنى: لا يحسبن الكفارُ أنفسهم سابقين. ويجوز أن يضمر (أن) مع سبقوا فتسد مسد المفعولين، مثل قوله تعالى (أحسب الناس

---

[١] وجهت الباحثة أحلام القراءتين بمعنى قريب من هذا المعنى، ينظر أبو شعبان، تفسير القرآن بالقراءات العشر، ص١٣٩.

[٢] وقد عد الطبري هذه القراءة غير حميدة لشذوذها عن قراءة القراء، ولبعدها من فصيح كلام العرب. والصواب أن القراءة متواترة عن أكثر من واحد من القراء العشرة، أما دعوى مخالفتها لفصيح كلام العرب فلا تسلم له، وسيأتي بيان وجهها في اللغة. ينظر الطبري، جامع البيان، ج١٠، ص٢٠.

[٣] ينظر الفيروزأبادي، القاموس المحيط، ص ٧٤. ومحيسن، المغني، ج٢، ص١٩٤.

أن يتركوا) (العنكبوت: 2). ويجوز أن يكون الفاعل مضمر وتقديره: الرسول، أو قبيل المؤمنين، أو الحاسب، أو من خلفهم، أو أحد. ويكون (الذين كفروا سبقوا) مفعولين للفعل.

أما على قراءة (تحسبن) فالفاعل المخاطب وهو الرسول صلى الله عليه وسلم، أو لكل من له حظ في الخطاب، ويكون المفعولان (الذين كفروا سبقوا)، فيكون المعنى: ولا تحسبن يا محمد الكفار سابقين.[١] ونلاحظ تنوع المعاني بسبب اختلاف القراءتين من حيث الخطاب والغيبة، فالخطاب يوجه مرة للكفار بضمير الغيبة وفي ذلك تعنيف وتأنيب لهم. ويوجه الخطاب في القراءة الثانية للنبي صلى الله عليه وسلم، أو للمخاطبين –ممن يصلح له الخطاب– وفي ذلك تثبيت وبشارة وإيناس لهم.[٢]

أما الاختلاف في همزة (إنهم) بين الكسر والفتح فهو من باب التفنن في الأساليب، فقراءة الكسر تفيد مزيد تأكيد، وقراءة الفتح تفيد التعليل مع التأكيد، قال النسفي: ÷وكل واحدة من المكسورة والمفتوحة تعليل غير أن المكسورة على طريقة الاستئناف، والمفتوحة تعليل صريح×.[٣].

---

[١] ينظر ابن عطية، المحرر الوجيز، ج٢، ص٥٤٢. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٨، ص٣٣. الآلوسي، روح المعاني، ج١٠، ص٨٢. ابن زنجلة، حجة القراءات، ص٣١٢. محيسن، المغني، ج٢، ص١٩٤.

[٢] ينظر عباس، فضل حسن، القراءات القرآنية وما يتعلق بها، ص ٢٩٦، مجلد واحد، ط١، دار النفائس، عمان، ٢٠٠٨م.

[٣] النسفي، تفسير القرآن، ج٢، ص١٥٧. وهو مطابق لما ذكرته الباحثة أحلام في توجيه القراءات في هذه الآية، وعدت الخلاف في (يحسبن) بكسر السين وفتحها من باب اختلاف اللغات مخالفة بذلك منهجها في توجيه مثل هذه القراءات. ينظر أبو شعبان، تفسير القرآن بالقراءات العشر، ص١٤٣.

١٧- قوله تعالى ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (الأنفال: ٦٠).

أ- قرأ رويس (تُرَهِّبون).

ب- وقرأ الباقون (تُرْهِبون).

الفعل (تُرْهِبون) من أرهب، والفعل (تُرَهِّبون) من الفعل رهَّب المضعف وكلاهما متعدٍ بمعنى واحد لكن المضعف فيه دلالة على المبالغة، قال سيبويه: ÷وقالوا: أغلقت الباب، وغلّقت الأبواب حين كثروا العمل×.[١] وبناءً على ذلك يمكن أن نستنبط من قراءة التضعيف (تُرَهِّبون) المبالغة في إرهاب العدو، فأحياناً يكون مجرد إعداد القوة كفيلاً بإرهابهم، وفي أحيان أخرى لا بد من المبالغة في ذلك لقطع أطماع الأعداء.

١٨- قوله تعالى ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ (الأنفال: ٦١).

أ- قرأ شعبة (للسِّلْم).

ب- وقرأ الباقون (للسَّلْم).

أكثر العلماء على أنهما لغتان بمعنى واحد، ويطلق على الصلح وعلى الإسلام، قال الجوهري: ÷والسَّلْمُ: الصُّلحُ، يفتح ويكسر، ويذكَّر ويؤنث×.[٢]

---

[١] سيبويه، الكتاب، ج٤، ص١٧٤. وينظر ابن سيده، علي، المخصص في اللغة، ج١٤، ص١٧١، ٥مجلدات، دار الكتب العلمية، بيروت.

[٢] الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح، ج٢، ص ١٤٤١، ط١، مجلدان، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٨م. وينظر أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ج٤، ص١٥٨-١٥٩. وابن زنجلة، حجة القراءات، ص٣١٢. وابن أبي مريم، الموضح، ج٢، ص٥٨٣. وأبو شامة، إبراز المعاني، ص٤٩٣.

وقال أبو عبيدة في تفسير قوله تعالى (ادخلوا في السلم كافة) (البقرة: ٢٠٨): ÷"السِّلْمِ": الإسلام، والسَّلْم يؤنث ويذكر...وفي موضع آخر الصلح×.[١] وقال في تفسير آية الأنفال: ÷(وَإِن جَنَحُوا لِلسِّلْمِ) أي رجعوا إلى المسالمة، وطلبوا الصلح وهو السلم مكسورة ومفتوحة ومتحركة الحروف بالفتحة واحد... فيها ثلاث لغات× .[٢]

لكن من العلماء من فرق بين (السِّلْم) و(السَّلْم)، قال القرطبي: ÷قال الكسائي: السَّلم والسَّلم بمعنىً واحد، وكذا هو عند أكثر البصريين، وهما جميعاً يقعان للإسلام والمسالمة. وفرق أبو عمرو بن العلاء بينهما، فقرأها هنا: (ادخلوا في السِّلم) (البقرة:٢٠٨)، وقال هو الإسلام. وقرأ التي في «الأنفال» والتي في سورة «محمد» صلى الله عليه وسلّم «السَّلم» بفتح السين، وقال: هي بالفتح المسالمة. وأنكر المبرد هذه التفرقة. وقال عاصم الجَحْدَرِيّ: السِّلْم الإسلام، والسَّلْم الصلح، والسَّلَم الاستسلام. وأنكر محمد بن يزيد هذه التفريقات وقال: اللغة لا تؤخذ هكذا، وإنما تؤخذ بالسماع لا بالقياس، ويحتاج من فرّق إلى دليل×.[٣]

والراجح من وجهة نظري أن (السِّلْم) و(السَّلْم) لغتان بمعنى واحد، وقد يراد بهما الصلح وقد يراد بهما الإسلام، والسياق هو الذي يحدد ذلك، والدليل على ذلك قوله تعالى (ولا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون) (محمد: 35). فقد قرأت باللفظين، والمراد هنا الصلح فقط، فلا يصح المعنى على إرادة الإسلام.[٤]

---

[١] أبو عبيدة، معمر بن المثنى، مجاز القرآن، ج١، ص ٧١- ٧٢. ط١، مكتبة محمد الخافجي، مصر، ١٩٥٤م.

[٢] أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج١، ص٢٥٠.

[٣] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٣، ص ٢٢.

[٤] المتولي، التوجيه اللغوي والبلاغي لقراءة الإمام عاصم، ص ٢١١.

لكن قد يحتمل اللفظ أحياناً المعنيين –الصلح والإسلام– كما في سورة الأنفال، قال الطبري: ÷(وَإِنْ جَنَحُوا للسَّلْمِ فاجْنَحْ لَهَا) وإن مالوا إلى مسالمتك ومتاركتك الحرب، إما بالدخول في الإسلام، وإما بإعطاء الجزية، وإما بموادعة، ونحو ذلك من أسباب السلم والصلح فاجْنَحْ لَهَا×.[١] فالإسلام في هذه الحالة نوع من أنواع الصلح.[٢]

١٩– قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّه﴾ (الأنفال: ٦٤)،

٢٠– ومثله قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ (الأنفال: ٦٥)، ٢١– وقوله تعالى ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ﴾ (الأنفال: ٦٧).[٣]

أ– قرأ نافع (النبيء).

ب– وقرأ الباقون (النبي).

(النبيء) مأخوذ من أنبأ أي أخبر، لأن النبي مخبر عن الله عز وجل، ويستدلون بقول عباس بن مرداس:

يا خاتم النباء إنك مرسل بالحق خير هدى السبيل هداكا

أما (النبي) فمأخوذ من نبا ينبو، إذا ارتفع، ويقال للنبي (نبي)، لارتفاع منزلته وشرفه وعلو مكانته.[٤] فجاءت هاتان القراءتان لإثبات هذين الوصفين للنبي صلى الله عليه وسلم، فهو المخبر عن الله تعالى وذو المكانة العالية والشرف العظيم.

---

[١] الطبري، جامع البيان، ج١٠، ص٢٣.

[٢] ذهبت الباحثة إلى أن السلم بالفتح والكسر هنا بمعنى السلام، لأن الإسلام دين السلام. ينظر أبو شعبان، تفسير القرآن بالقراءات العشر، ص١٤٧.

[٣] لم توجه الباحثة أحلام أبو شعبان القراءات في هذا الموضع.

[٤] ينظر ابن زنجلة، حجة القراءات، ص٩٨– ٩٩. وابن خالويه، الحجة في القراءات، ص ٨٠– ٨١.

تنبيه: يذكر علماء توجيه القراءات للاحتجاج لقراءة (نبي) أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم: (يا نبيء الله قال لست نبيء الله ولكني نبي الله). فكأن النبي صلى الله عليه وسلم كره الهمز. وهذا خطأ فإن قراءة الهمز متواترة ثابتة، أما الرواية التي ذكروها فقد رواها الحاكم في مستدركه، وقال: ÷حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه×.[١]وقد تعقبه الذهبي فقال: ÷ بل منكر لا يصح، وفيه حمران بن أعين ليس بثقة وهو واه×.[٢]

٢٢- قوله تعالى ﴿وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا﴾ (الأنفال: ٦٥).

أ- قرأ أبو عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف (يكن).

ب- وقرأ الباقون (تكن).

٢٣- وقوله تعالى ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ (الأنفال: ٦٦).

أ- قرأ عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف (يكن).

ب- وقرأ الباقون (تكن).

وحجة من أنث الفعل أن لفظ (مئة) مؤنث. وحجة من ذكّر الفعل لأن المئة وقعت على عدد مذكر، ولأن تأنيث المئة غير حقيقي، وللفصل بين الفعل وفاعله بلفظ (منكم).[٣]

واختلاف القراءات هنا من باب التعبير بأوجه فصيحة متكافئة حفظاً للغة.[٤]

---

[١] الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ج٢، ص٢٥٠، ٤ مجلدات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م.

[٢] المرجع نفسه، ج٢، ص ٢٥٠. وينظر ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، تقريب التهذيب، ج١، ص٢٣٩، مجلدان، دار الكتب العلمية، بيروت.

[٣] ينظر ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٣١٣. وابن أبي مريم، الموضح، ج٢، ص٥٨٣-٥٨٤.

[٤] اعتبرت الباحثة أحلام اختلاف القراءات هنا من باب تلوين الأسلوب وهو نوع من أنواع الإعجاز. ينظر أبو شعبان، تفسير القرآن بالقراءات العشر، ص١٤٩.

٢٤- قولـه تعـالى ﴿الْآنَ خَفَّـفَ اللَّـهُ عَـنكُمْ وَعَلِـمَ أَنَّ فِـيكُمْ ضَـعْفًا﴾ (الأنفـال: ٦٦).

أ- قرأ عاصم، وحمزة، وخلف (ضَعْفاً).

ب- وقرأ أبو جعفر (ضُعَفاءَ).

ج- وقرأ الباقون (ضُعْفاً).

(ضعفاء) جمع ضعيف، أما (الضُّعف) و(الضَّعف) فمصدران وأكثر العلماء على أنهما لغتان بمعنى واحد، مثل (الفَقر والفُقر)، و(القَرح والقُرح).[١] وذهب بعض العلماء إلى التفريق بينهما، فقالوا (الضُّعف) في البدن، و(الضَّعف) في العقل والرأي.[٢] ورد ابن عطية ذلك فقال: ÷ وهذا قول ترده القراءة ×،[٣] وقال ابن عاشور: ÷وأحسب أنّها تفرقة طارئة عند المولّدين× .[٤] ولا أرى أن القراءة ترده، ولا يلزم أن تكون القراءات كلها بمعنىً واحد، فلا مانع من أن يكون لكل قراءة معنىً مختلف إذا لم يكن ثمة تناقض، بل إن هذا من وجوه إعجاز القراءات من خلال دلالتها على المعاني المتنوعة التي لا تتناقض، ولا يعني ذلك أني أجزم باختلاف لالة اللفظين، لكن المقصود عدم دلالة اختلاف القراءتين على امتناع هذا الرأي.

---

[١] ينظر أبو علي الفارسي، الحجة للقراء االسبعة، ج٤، ص١٦٢. وابن زنجلة، حجة القراءات، ص٣١٣. وابن أبي مريم، الموضح، ج٢، ص٥٨٥. وابن أبي شامة، إبراز المعاني، ص٤٩٤.

[٢] ينظر الثعالبي، فقه اللغة، ج١، ص ٥٦، مجلدان، دار الكتب العلمية، بيروت. والراغب الأصفهاني، المفردات، ج٢، ص ٣٨٥. والأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، معجم تهذيب اللغة، ج٣، ص ٢١١٩، ط، ٤ مجلدات، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠١م.

[٣] ابن عطية، المحرر الوجيز، ج٢، ص٥٤٩.

[٤] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٠، ص٧١.

وأظن أن القول بأنهما لغتان بمعنى واحد هو الأقرب مع دلالة اللفظ بشكل عام على الضعف بكل أنواعه، وبذلك تضمنت الآية عدة معانٍ فقد أشارت إلى الضعف المادي البدني، وهو يشمل الضعف في القوة والعتاد، وأشارت إلى الضعف المعنوي، وهو يشمل ضعف الإيمان، والضعف النفسي، والضعف على مستوى التخطيط والتدبير. وأشارت أيضاً إلى وجود ضعفاء في الجيش وهو أمر كفيل بإضعاف قوة الجيش وقدرته على المواجهة، وحكم التخفيف في مواجهة الكفار التي دلت عليه الآية متعلق بهذه الصور من الضعف.

وذهبت الباحثة أحلام إلى أن في قراءة (ضعفاء) بصيغة الجمع دلالة على الكثرة التي تكون سببا في الضعف للاعتماد عليها وضعف الاعتماد على الله تعالى،[١] وهو توجيه حسن.

تنبيه: زعم بعضهم أن قراءة الضم (ضُعفا) هي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم،[٢] وذكروا في ذلك حديثاً عن فُضَيْلُ بنُ مَرْزُوقٍ عن عَطِّيَةَ بنِ سَعْدٍ الْعَوْفِيِّ، قال: «قَرَأْتُ على عَبْدِ الله بنِ عُمَرَ (الله الَّذِي خَلَقَكُم مِنْ ضَعْفٍ) (الروم: ٥٤)، فقال (مِنْ ضُعْفٍ) قَرَأْتُهَا عَلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلّم كَمَا قَرَأْتَهَا عَلَيَّ، فأَخَذَ عَلَيَّ كَمَا أَخَذْتُ عَلَيْكَ».[٣]

والفضيل بن مرزوق قال عنه ابن حجر: ÷صدوق يهم ورمي بالتشيع×.[٤]

وقال عن عطية العوفي: ÷صدوق يخطىء كثيراً وكان شيعياً مدلّسا×.[١]

---

[١] ينظر أبو شعبان، تفسير القرآن بالقراءات العشر، ص١٥٠-١٥١.

[٢] ينظر ابن أبي مريم، الموضح، ج٢، ص٥٨٥.

[٣] رواه أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، كتاب الحروف والقراءات، ج١١، ص١١، حديث (٣٩٧٧)، ٤مجلدات، دار إحياء التراث العربي، بيروت. والترمذي، محمد بن عيسى، جامع الترمذي، كتاب القراءات، ج٨، ص٢١٧، حديث (٣٠١٥)، ٥مجلدات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م.

[٤] ابن حجر، تقريب التهذيب، ج٢، ص١٤.

والقراءتان بالضم والفتح متواترتان عن النبي صلى الله عليه وسلم في سورة الأنفال، وسورة الروم، ولا يجوز ردهما.

٢٥- قوله تعالى ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾ (الانفال: ٦٧).

أ- قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب (تكون).

ب- وقرأ الباقون (يكون).

وهذا من باب اختلاف الفعل من حيث التذكير والتأنيث، وكلاهما وجه فصيح، وحجة من أنث الفعل أن لفظ الأسرى مؤنث، وحجة من ذكّر الفعل أن الفعل متقدم، ولأن الأسرى مذكرون، وللفصل بين الفعل وفاعله بالجار والمجرور.[٢]

٢٦- وفي الآية السابقة:

أ- قرأ أبو جعفر (أسارى).

ب- وقرأ الباقون (أسرى).

وهما صيغتان لجمع (أسير) فأسرى على وزن فعلى كقتيل وقتلى وهو قياس فعيل بمعنى مفعول، وهو أصل باب أسير. أما أسارى فجمع أسير على التشبيه بغير بابه، فشبه الأسير بكسلان، فقالوا: أسارى كما قالوا كسالى.[٣] وينقل عن أبي عمرو التفريق بينهما، فقد نقل ابن زنجلة عن أبي عمرو قوله: ÷إذا كان القتال فأسر القوم عدوهم فهم الأسرى، فإذا ذهبت زحمة القتال فصاروا في أيديهم فهم الأسارى، وقال أيضاً: ما كان في الأيدي وفي السجن

---

[١] ابن حجر، تقريب التهذيب، ج١، ص٦٧٧.

[٢] ينظر ابن زنجلة، حجة القراءات، ص313. ابن أبي مريم، الموضح، ج٢، ص٥٨٥.

[٣] ينظر أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ج٤، ص١٦٣- ١٦٥. وابن عطية، المحرر الوجيز، ج٢، ص٥٥٢. وأبو حيان، البحر المحيط، ج٤، ص٥١٨.

فإنها أسارى، وما لم يكن في الأيدي ولا في السجن فقل ما شئت: أسرى وأسارى×.[١] وقال أبو حيان: ÷وقرأ أبو عمرو بن العلاء الأسرى هم غير الموثوقين عندما يؤخذون، والأسارى هم الموثقون ربطاً، وحكى أبو حاتم أنه سمع ذلك من العرب. وقد ذكره أيضاً أبو الحسن الأخفش، وقال: العرب لا تعرف هذا كلاهما عندهم سواء×.[٢] ولعل هذا هو سبب اختلاف قراءة أبي عمرو في آيتي الأنفال حيث قرأ الآية الأولى ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾ (الأنفال: ٦٧)، وقرأ الآية الثانية ﴿قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ﴾ (الأنفال: ٧٠). لكن الصواب من وجهة نظري أنهما بمعنى واحد والدليل على ذلك أن قوله تعالى (قل لمن في أيديكم من الأسرى) (الأنفال: 70) قرئ بالوجهين وهو هنا بمعنى الأسرى الذين كانوا في أيديهم، لكن لعل قراءة (أسارى) لما فيها من زيادة المبنى توحي بكثرة العدد، قال ابن خالويه: ÷(من الأسارى) يقرأ بضم الهمزة وإثبات الألف، وبفتحها وطرح الألف، فالحجة لمن أثبتها أنه أراد جمع الجمع، والحجة لمن طرحها أنه أراد جمع أسير×.[٣] وبذلك يكون النهي أعم وأشمل، فالآية تنهاهم عن أن يكون لهم أسرى سواء أقل عددهم أم كثر.[٤]

٢٧- قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ﴾ (الأنفال: ٧٠).

---

[١] ابن زنجلة، حجة القراءات، ص٣١٤.

[٢] أبو حيان، البحر المحيط، ج٤، ص٥١٨.

[٣] ابن خالويه، الحجة في القراءات، ص ١٧٣. وينظر الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري، معاني القرآن، ج٢، ص ٤٢٥، ط١، ٥ مجلدات، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٨م.

[٤] ذهبت الباحثة أحلام إلى التفريق بين مدلولي القراءتين، ينظر أبو شعبان، تفسير القرآن بالقراءات العشر، ص١٥٥-١٥٦.

أ- قرأ أبو جعفر، وأبو عمرو (أسارى).

ب- وقرأ الباقون (أسرى).

وقد سبق توجيه القراءتين.

٢٨- قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾ (الأنفال: ٧٢).

أ- قرأ حمزة (وِلايتهم).

ب- وقرأ الباقون (وَلايتهم).

من العلماء من فرق بينهما، فجعل الوَلاية من النصرة والنسب، والوِلاية من الإمارة والسلطان، وقد جود أبو علي الفارسي قراءة الفتح في هذه الآية فقال: ÷والولاية هنا من الدين، فالفتح أجود، قال أبو الحسن: وهي قراءة الناس، إلا أن الأعمش كسر الواو وهي لغة، وليست بذاك×.[١] أما الفراء فقد رجح قراءة الكسر فقال: ÷وكسر الواو في الولاية أعجب إلي من فتحها؛ لأنها إنما تفتح أكثر من ذلك إذا كانت في معنى النصرة، وكان الكسائي يفتحها ويذهب بها إلى النصرة، ولا أراه علم التفسير×.[٢]والقراءتان متواترتان، لذلك فالراجح من وجهة نظري أن الوَلاية والوِلاية لغتان بمعنى واحد، فقد يراد بهما النصرة، وقد يراد بهما الإمارة، وقد يراد بهما الولاية في الدين وغيره، قال الراغب: ÷الولاء والتوالي: أن يحصل شيئان فصاعداً حصولاً ليس بينهما ما ليس منهما،

---

[١] أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ج4، ص166. وأبو الحسن هو الأخفش وقد جاء في كتابه: ÷وهو في الولاء، أما في السلطان فالوِلاية، ولا أعلم كسر الواو في الأخرى إلا لغة×. الأخفش، أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي، معاني القرآن، ج٢، ص ٣٢٥، ط٢، مجلدان، الشركة الكويتية، الكويت، ١٩٨١م.

[٢] الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، ج١، ص٤١٨- ٤١٩، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٥م.

ويستعار ذلك للقرب من حيث المكان، ومن حيث النسبة، ومن حيث الدين، ومن حيث الصداقة والنصرة والاعتقاد، والولاية النصرة، والولاية: تولي الأمر، وقيل: الوَلاية والوِلاية نحو: الدَّلالة والدِّلالة، وحقيقته: تولي الأمر×.[١]

وهو ما رجحه الزمخشري حيث قال: ÷وقرئ (من ولايتهم)، بالفتح والكسر أي من توليهم في الميراث، ووجه الكسر أن تولى بعضهم بعضاً شبه بالعمل والصناعة، كأنه بتوليه صاحبه يزاول أمراً ويباشر عملاً×.[٢] وقال ابن عاشور: ÷وما قاله أبو علي الفارسي باطل، والفتح والكسر وجهان متساويان مثل الدلالة بفتح الدال وكسرها×.[٣]

وبذلك يتبين أن الاختلاف في هاتين القراءتين من باب اختلاف اللغات. لكن تخصيص الزمخشري الولاية المنفية بولاية الميراث لا يصح، فلفظ الولاية عام وخصص منه ولاية النصرة، قال محمد رشيد رضا: ÷وكان حكم غير المهاجرين أنهم لا يثبت لهم شيء من ولاية المؤمنين الذين في دار الإسلام، إذ لا سبيل إلى نصر أولئك لهم، ولا إلى تنفيذ هؤلاء لأحكام الإسلام فيهم، والولاية حق مشترك على سبيل التبادل، ولكن الله خص من عموم الولاية المنفية الشامل لما ذكرنا من الأحكام شيئاً واحداً فقال (وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ)×. [٤]

---

[١] الراغب الأصفهاني، المفردات، ج٢، ص ٣٨٥.

[٢] الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص١٧٠.

[٣] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٠، ص٨٦.

[٤] رضا، تفسير المنار، ج١٠، ص ١٢٨. وذهبت الباحثة أحلام إلى التفريق بين مدلولي القراءتين فالفتح يدل على النصرة وحكمها باق، والكسر يدل على الميراث وحكمها منسوخ. ينظر أبو شعبان، تفسير القرآن بالقراءات العشر، ص١٦١.

الخاتمة

بعد هذا العرض المفصل للقراءات في سورة الأنفال، وبيان التوجيه البلاغي لها، أخلص إلى النتائج التالية:

أ- اختلف فرش القراءات العشر المتواترة في سورة الأنفال في ثمانية وعشرين موضعاً تقريباً.

ب- أغلب الاختلافات كان لها أثر في المعنى كالمبالغة، أو التعميم، أو التعليل، أو تنويع المعاني أو غيرها، وذلك في المواضع التالية:

١- قوله تعالى ﴿أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ (الأنفال: ٩).

٥- قوله تعالى ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ (الأنفال:١١).

٦- قوله تعالى ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ﴾ (الأنفال: ١١)

والقراءات في هذه المواضع الثلاثة كان لها أثر كبير في دقة تصوير مشاهد غزوة بدر.

٧- قوله تعالى ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ (الأنفال:١٧). وتنوع القراءات في هذه الآية أفاد مزيد تحقيق وتأكيد مراعاةً لأحوال المخاطبين.

٨- قوله تعالى ﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ (الأنفال:١٨). وأفادت القراءات هنا التعميم والمبالغة، وإثبات الحكم في الماضي والحاضر والمستقبل.

٩- قوله تعالى ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال: ١٩). وأفادت القراءتان التحقيق والتعليل.

١٠- قولـه تعـالى﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَـا أَمْـوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُـمْ فِتْنَـةٌ وَأَنَّ اللَّـهَ عِنـدَهُ أَجْـرٌ عَظِيمٌ﴾ الأنفال:٢٨. أفادت القراءتان العطف والاستئناف، مع دلالتهما على التأكيد.

١١- قوله تعالى ﴿لِيَمِيزَ اللَّـهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ (الأنفال: ٣٧). أشارت القراءتان إلى نوعين من التمييز (مادي/ معنوي)، بالإضافة إلى دلالة قراءة التشديد على التكثير والمبالغة.

١٢- قولـه تعالى ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَـةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّـهُ لِلَّـهِ ۚ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّـهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (الأنفال:٣٩). والاختلاف هنا من حيث الغيبة والخطاب، وكان له أثر في تكثير المعاني التي تدل عليها الآية.

١٣- قوله تعالى ﴿لِيَقْضِيَ اللَّـهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۖ وَإِلَى اللَّـهِ تُرْجَـعُ الْأُمُورُ﴾ (الأنفـال:٤٤). والاخـتلاف هنـا كـان مـن حيـث بنـاء الفعل للفاعـل، وبنـاؤه للمفعول، وكان له أثر في تكثير المعاني.

١٤- قولـه تعـالى ﴿وَلَـوْ تَـرَىٰ إِذْ يَتَـوَفَّى الَّـذِينَ كَفَـرُوا ۙ الْمَلَائِكَـةُ يَضْـرِبُونَ وُجُـوهَهُمْ وَأَدْبَـارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (الأنفال:٥٠). والاختلاف هنا من حيث تذكير الفعل وتأنيثه، وفيه تكثير للمعاني التي تحتملها الآية.

١٥- قولـه تعالى ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّـذِينَ كَفَـرُوا سَبَقُوا ۚ إِنَّـهُـمْ لَا يُعْجِـزُونَ﴾ (الأنفال: ٥٩). واختلاف القراءات في هذه الآية من حيث الغيبة والخطاب كان له أثر في تكثير المعاني التي تدل عليها الآية.

١٦- قوله تعالى ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّـهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (الأنفال: ٦٠). ولقد أفادت قراءة التشديد في هذه الآية المبالغة في إرهاب العدو.

١٤، ١٥، ١٦- لفظ النبي في ثلاث آيات في سورة الأنفال، وقد أثبتت القراءات وصفين للنبي صلى الله عليه وسلم: فهو المخبر عن الله عز وجل، وهو ذو المكانة العالية والمنزلة الرفيعة.

١٧- قوله تعالى ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ (الأنفال: ٦٦) أشارت القراءات في هذه الآية إلى الأنواع المختلفة للضعف.

١٨، ١٩- لفظ الأسرى في موضعين من سورة الأنفال، والاختلاف في لفظ الأسرى كان له دلالة على القلة والكثرة.

ج- اختلفت القراءات في بعض المواضع اختلافاً راجعاً إلى اختلاف اللغات واللهجات، وتنوع طرق الأداء مما لم يؤثر على معنى الآية، وهي مواضع قليلة مقارنةً بالمواضع السابقة، وفائدة هذا الاختلاف التيسير على الأمة وحفظ وجوه فصيحة متكافئة من اللغة، وهذه المواضع هي:

١- كلمة (الرعب) -بضم العين وإسكانها- في قوله تعالى ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ (الأنفال:١٢).

٢- كلمة (العدوة) -بضم العين وكسرها- في قوله تعالى ﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ﴾ (الأنفال:٤٢).

٣- كلمة (يحسبن) -بفتح السين وكسرها- في قوله تعالى ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ (الأنفال: ٥٩).

٤- كلمة (حي، حيي) في قوله تعالى ﴿وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾ (الأنفال: ٤٢).

٥- كلمة (السلم) -بكسر السين وفتحها- في قوله تعالى ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ (الأنفال:٦١).

٦- الفعل (يكن) في قوله تعالى ﴿وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا﴾ (الأنفال: ٦٥).

٧- والفعل (يكن) في قوله تعالى ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ (الأنفال: ٦٦).

٨- والفعل (يكون) في قوله تعالى ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾ (الانفال: ٦٧).

٩- كلمة (ولايتهم) -بفتح الواو وكسرها- في قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾ (الأنفال: ٧٢).

وبذلك يتبين أن أغلب الاختلاف في القراءات الفرشية في سورة الأنفال كان له أثر في توسيع المعاني وتنوعها، وهذا من بلاغة القراءات وأحد صور إعجاز القرآن الكريم.

أما بقية القراءات فكانت راجعة إلى اختلاف اللهجات التي كان فيها التسهيل والتيسير على الأمة، وكذلك ما يرجع إلى تنوع الأساليب والألفاظ الفصيحة مع اتحاد معانيها التي حفظت بها الأوجه الفصيحة من اللغة العربية.

وختاماً لا أدعي أني استقصيت معاني القراءات أو أني أحطت بأسرار بلاغتها، ولكنها محاولات لفهم وتدبر كتاب الله المعجز، فما وجدتم فيه من صواب فمن الله عز وجل، وما وجدتم فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المراجع

١- الأخفش، أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي، معاني القرآن، ط٢، مجلدان، الشركة الكويتية، الكويت، ١٩٨١م.

٢- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، معجم تهذيب اللغة، ط، ٤ مجلدات، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠١م

٣- آغا، طه صالح أمين، التوجيه اللغوي للقراءات القرآنية عند الفراء في معاني القرآن، مجلد واحد، ط١، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٧م.

٤- الآلوسي، محمود بن عبد الله الحسيني، روح المعاني، ٣٠ مجلد، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، الجامع الصحيح، ٩ مجلدات، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦- أبو البقاء العكبري، عبد الله بن الحسين، التبيان في إعراب القرآن، مجلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٧- البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٢٢ مجلد، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٨- البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ٥ مجلدات، دار الفكر، بيروت.

٩- الترمذي، محمد بن عيسى، جامع الترمذي، ٥ مجلدات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م.

١٠- الثعالبي، فقه اللغة، مجلدان، دار الكتب العلمية، بيروت.

١١- ابن الجزري، محمد بن محمد الدمشقي، النشر في القراءات العشر، ط٢، مجلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.

١٢- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح، ط١، مجلدان، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٨م.

١٣- الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ٤ مجلدات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م.

١٤- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، تقريب التهذيب، مجلدان، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٥- أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط، ١٠ مجلدات، دار الفكر، بيروت.

١٦- خاروف، محمد فهد، الميسر في القراءات الأربعة عشر، ط١، مجلد واحد، دار ابن كثير، دمشق، ١٩٩٥م.

١٧- ابن خالويه، الحسين بن أحمد، الحجة في القراءات السبع، مجلد واحد، ط٤، دار الشروق، بيروت، ١٤٠١هـ.

١٨- أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، ٤ مجلدات، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٩- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، جمهرة اللغة، ط ١، ٣ مجلدات، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.

٢٠- الرازي، محمد بن عمر بن الحسين، مفاتيح الغيب، ٣٢ مجلد، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢١- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، مجلدان، مكتبة نزار مصطفى الباز.

٢٢- رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، ط ٢، ١٢ مجلد، دار المنار، مصر، ١٩٤٧م.

٢٣- الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري، معاني القرآن، ط١، ٥ مجلدات، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٨م.

٢٤- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، الكشاف، ٤ مجلدات، دار الفكر، بيروت.

٢٥- ابن زنجلة، عبد الرحمن بن أحمد، حجة القراءات، مجلد واحد، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٢م.

٢٦- أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ٦ مجلدات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م.

٢٧- السمين الحلبي، أبو العباس بن يوسف بن محمد، الدر المصون، ط١، ٥ مجلدات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م.

٢٨- سيبويه، الكتاب، ٥ مجلدات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م.

٢٩- ابن سيده، علي، المخصص في اللغة، ٥مجلدات، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٠- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال، الإتقان في علوم القرآن، مجلد واحد، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦م.

٣١- أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل، إبراز المعاني من حرز الأماني، مجلد واحد، مطبعة مصطفى البابي، مصر، ١٩٨١م.

٣٢- أبو شعبان، أحلام مصباح، تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر من خلال سور: الأنفال والتوبة ويونس، رسالة ماجستير، إشراف: د. زهدي أبو نعمة، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠٠٦.

٣٣- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير، ٦ مجلدات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

٣٤- شيخ زاده، محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجي، حاشية زاده على تفسير البيضاوي، ط ١، ٨ مجلدات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م.

٣٥- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان، ٣٠مجلد، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٠م.

٣٦- ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ٣٠مجلد، دار سحنون، تونس، ١٩٩٧م.

٣٧- عباس، فضل حسن، القراءات القرآنية وما يتعلق بها، مجلد واحد، ط١، دار النفائس، عمان، ٢٠٠٨م.

٣٨- أبو عبيدة، معمر بن المثنى، مجاز القرآن، ط١، مكتبة محمد الخافجي، مصر، ١٩٥٤م.

٣٩- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق الأندلسي، المحرر الوجيز، ٥مجلدات، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.

٤٠- أبو علي الفارسي، الحسن بن عبد الغفار، الحجة للقراء السبعة، ط١، دار المأمون، دمشق، ١٩٩١م.

٤١- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، ٣ مجلدات، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٥م.

٤٢- الفيروزأبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ط ٨، مجلد واحد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٥م.

٤٣- القاضي، عبد الفتاح، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة، مجلد واحد، دار الكتاب العربي، بيروت.

٤٤- القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٥- القضاة، أحمد مفلح، وشكري، أحمد خالد، ومنصور، محمد خالد، مقدمات في علم القراءات، ط١، مجلد واحد، دار عمار، عمان، ٢٠٠١.

٤٦- قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن، مجلد واحد، ط ١٨، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٦م.

٤٧- قمحاوي، محمد الصادق، طلائع البشر في توجيه القراءات العشر، مجلد واحد، ط1، عالم الكتب، بيروت، ٢٠٠٣م.

٤٨- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن، ٨ مجلدات، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٩٥م.

٤٩- أبو ليث السمرقندي، نصر بن محمد، بحر العلوم، ٣ مجلدات، دار الفكر، بيروت.

٥٠- المتولي، صبري المتولي، التوجيه اللغوي والبلاغي لقراءة الإمام عاصم، مجلد واحد، دار غريب، مصر، ١٩٩٨م.

٥١- محيسن، محمد سالم، المستنير في تخريج القراءات المتواترة، مجلد واحد، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٩م.

٥٢- محيسن، محمد سالم، المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة، ٣مجلدات، ط٢، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨م.

٥٣- ابن أبي مريم، نصر بن علي بن محمد الشيرازي الفارسي، الموضح في وجوه القراءات وعللها، ٣مجلدات، ط١، ١٩٩٣م.

٥٤- مكي، ابن أبي طالب القيسي، مشكل إعراب القرآن، ط ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٥٥- ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي، لسان العرب، ط٢، ١٦ مجلد، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٩٩٣م.

٥٦- النحاس، معاني القرآن الكريم، ط١، نشر جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٩هـ.

٥٧- النسفي، عبد الله بن أحمد، مدارك التنزيل، ٤ مجلدات، دار النفائس، عمان، ١٩٩٦م.

٥٨- النشار، أبو حفص عمر بن زين الدين قاسم الأنصاري، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، ط١، ٤مجلدات، طبعة وزارة الأوقاف القطرية، قطر، ٢٠٠٨م.